أنماط الاتصال التي تتبعها الأسرة مع أطفالها ومدى انعكاسها على بناء شخصية الأبناء

فيصل مطالقة*

ملخص

إن النقص الحاصل في الاتصال ما بين الوالدين والأطفال مشكلة تواجهها عدة عائلات وخصوصاً تلك العائلات التي يتواجد فيها المراهقين.

من جهة يشكو الأطفال بأنهم يشعرون بالوحدة والاكتئاب لأنه لا يوجد مَنْ يشاركهم مشاكلهم والضغوط عليهم، وفضلاً عن الحياة المريحة مادياً، فإنهم يشعرون بالتعاسة داخلياً، فهم يتهمون والديهم بأنهم لا يفهمونهم ولا يقدمون لهم الدعم العاطفي.

من جهة أخرى فإن الوالدين يتألمون لاتهام أطفالهم لهم وذلك لأنهم يعتقدون بأنهم كانوا يعملون الكثير من أجل أطفالهم،وأنهم مخطئون باعتقادهم بأنهم كانوا دائماً جاهزين للاتصال مع أطفالهم والحديث معهم وثمة شعور بالألم للعديد من الأهالي لوجود اختلافات مع أطفالهم.

من الواضح والثابت أن الوالدين والأطفال يعانون كثيراً من هذه المشكلة، وعلى من يقع اللوم؟ وقد أوضحت الدراسة أن اللوم يقع على الوالدين بشكل رئيسي.

لذلك تحاول هذه الدراسة تحديد أنماط الاتصال المختلفة التي يمكن أن تستخدم من قبل الوالدين لجعل الأطفال يشعرون بالحب والقبولية، وركزت الدراسة على نمط الاتصال اللفظي وغير اللفظي وحاولت أيضاً التركيز على القبولية وكيف يتقبل الوالدان أطفالهم؟ وكيف يتقبل الأطفال والديهما؟ والتي تظهر من خلال أنماط الاتصال المختلفة التي يستخدمونها مع بعضهم البعض، وقد نوقشت الأنماط من خلال دراسة عدة حالات حقيقية في المجتمع الأردني، وثم عرض ومناقشة لبعض الطرق التي يمكن للأشخاص المساعدين في هذه المهنة (**الأخصائيين، العاملين في إرشاد وتوجيه الطفل والأسرة، والعمل الاجتماعي وغيرهم**) أن يستخدموها للتأثير وتحفيز الأهالي لقبول أطفالهم.

المقدمة

الاتصال هو إرسال المعلومات من فرد لآخر، سواء كان لفظي مثال ذلك حديث شخص لشخص، أم غير لفظي والذي يستدل عليه من خلال حركات الجسد وملامح الوجه بشكل عام،

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2008.

* كلية العقبة الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، العقبة، الأردن.

ومثال ذلك تجاعيد الوجه والتي توحي للآخرين بأن الشخص منزعج من سلوك معين. والاتصال يمكن أن يكون ايجابيا أو سلبيا، مؤثراً وغير مؤثر، وهو عبارة عن تقنية نستخدمها لتعليم الأطفال القوانين والقيم والعادات وكيف يصبحون شباباً مسئولين.

من المهم للوالدين أن يدركا أهمية الاتصال بأطفالهما بانفتاح وتأثير حيث تعكس الفائدة ليس على الطفل فحسب بل على كل فرد من إفراد العائلة، كما أن العلاقة ما بين الوالدين والأطفال تتطور بشكل كبير عندما يكون هناك اتصالات عائلية مؤثرة وعموما كلما كانت الاتصالات بين الوالدين وأطفالهما جيدة فإن العلاقة حتما ستكون إيجابية. حيث يتعلم الأطفال الاتصال بالآخرين من خلال مشاهدتهم لوالديهم، فإذا كان الوالدان يتمتعان بمهارات اتصال قوية ومؤثرة ومنفتحة فإن الفرصة ليتعلم الأطفال هذه المهارات ستكون أكبر، إذ تؤثر فيهم خلال مراحل عمرهم المختلفة، حيث يبدأ الأطفال بتكوين الأفكار والاعتقادات الخاصة بهم وثقتهم بأنفسهم معتمدين بذلك على طرق الاتصال التي يتعامل الوالدان بها معهم.

الوالدان اللذان يتصلان بأطفالهما بطرق سليمة ومؤثرة سيكون لهم فرصة أكيدة لوجود أطفال جاهزين لعمل ما يريدان منهما فعله، فمثل هؤلاء الأطفال يعرفون ماذا يتوقعون من والديهم وهم أكثر عرضه للعيش حسب توقعات ذويهم وهم أيضا سوف يشعرون بأمان أكثر لموقعهم داخل العائلة وبالتالي سيكونون متعاونين لدرجة عالية داخل الأسرة لذا فإننا نجد أن للوالدين دوراً مهماً في تربية الطفل بحيث أنه بعد صلاح هذا الدور تصلح شخصية الطفل ونموه وبقدر اضطراب هذا الدور تضطرب شخصية الطفل (حسن، 1970).

وبما أن الأسرة هي المكان الأول الذي يتعلم فيه الطفل نماذج السلوك في الحياة فهي الأساس وراء اكتساب العادات والتقاليد والقيم، وكلما كانت العلاقات الأسرية في مسارها الطبيعي أدى ذلك إلى وجود توافق نفسي بين الصغير وأسرته، حيث يكون الطفل آمنا مطمئنا متزنا في انفعالاته وعواطفه، وتعد الاتصالات بين الوالدين والأطفال القاعدة ألأساسية لنجاح العلاقات الأسرية.

وتعد علاقة الطفل بوالديه من أقوى العلاقات الربطية في حياة الطفل. فالطفل منذ مولده لا يجد في مجاله الحياتي سوى الوالدين اللذين يرعيانه ويربيانه، ومن هنا فان هذه العلاقة بين الطرفين لها تأثير كبير على حياة الطفل المستقبلية فهي التي تبني شخصيته وتنمي عقله ومعرفته وسلوكه وعلاقته مع المجتمع، ولكي يؤتي الدور التربوي للوالدين ثماره ويحقق غاياته المرجوة لا بد أن يخطط له على أسس علمية سليمة (تركي، 1980؛ القرشي، 1986).

إن الدور الذي يلعبه الوالدان داخل العائلة من الممكن أن يؤثر على الإدراك الحسي للأطفال تجاه ذويهم، وفي النهاية تجاه أنفسهم، وتعد طريقة الاتصال أو التفاعل بين الوالدين

والأطفال من العوامل المهمة كونها عنصرا فعالا لتكوين شخصية الطفل منذ الولادة وحتى مرحلة متقدمة من العمر. وقد تبنى هذه العلاقة بين الطرفين من خلال تقبلهم لبعضهم بعضاً، فعلى الوالدين تقبل أطفالهما حتى يستطيع التأثير بهم وتنشئتهم تنشئة اجتماعية سليمة (matalka, 1994).

أهمية الدراسة

لهذا الموضوع أهمية النظرية وأهمية عملية وتكمن الأهمية النظرية للدراسة الراهنة في أن هناك دراسات عديدة أُجريت حول طرق الاتصال المؤثرة بالأطفال وعلاقتها بمتغيرات متعددة، إلا أن الباحث سعى إلى دراسة طرق الاتصال التي تتبعها الأسرة مع أطفالها، ومدى انعكاسها على بناء شخصية الأبناء وتتمثل الأهمية النظرية أيضا في محاولة تأصيل مفاهيم الاتصال والقبولية والإصغاء والتعرف على أنماط الاتصال والتي تؤثر سلبا وإيجابا على نمو وتطور الشخصية لدى الأبناء. وتأتي الأهمية العملية في أن هناك عناية خاصة في قضايا الأسرة والطفولة في المجتمع الأردني من خلال برامج التطوير للحد من المشكلات التي تعتريها، لذا كان من الضروري التعرف على أهم أساليب الاتصال الوالدية التي تتبعها الأسرة في الاتصال مع الأبناء من أجل محاولة إعداد البرامج الوقائية والتوعية بأنماط الاتصال ليستفيد منها الوالدان والباحثين والأخصائيين.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى:

1-التعريف بأهمية الاتصال ودور الوالدين فيه.

2. التعرف على دور الاتصال في بناء شخصية الطفل.

3- التعرف إلى طرق الاتصال الفعّال وغير الفعّال مع الأطفال.

4-وضع طرق أمام الأخصائيين لإرشاد الوالدين بأهمية دورهما في الاتصال الإيجابي مع أطفالهم

المنهج والأدوات

أولاً: المنهج، استعان الباحث في هذه الدراسة بمنهج دراسة الحالة وفي إظهار التكامل المنهجي استخدم الباحث المنهج الوصفي.

دراسة الحالة: استخدم الباحث منهج دراسة الحالة، لما له من دلالة في الكشف عن العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين المبحوث ومن حوله من الأفراد الآخرين، ودلالة ذلك بالنسبة له وتأثيرها على سلوكه واتجاهاته وقيمه التي تتشكل من خلال تلك العلاقة.

المنهج الوصفي: يهدف هذا المنهج إلى وصف الظاهرة محل الدراسة وتشخيصها وإلقاء الضوء على مختلف جوانبها وجمع البيانات اللازمة عنها مع فهمها وتحليلها من أجل الوصول إلى المبادئ والقوانين المتصلة بظواهر الحياة والعمليات الاجتماعية الأساسية والتصرفات الإنسانية، وعليه فقد استخدم الباحث المنهج الوصفي وذلك لوصف وتشخيص ظاهرة البحث بهدف لفت النظر إلى أهمية هذه الدراسة ووصف أساليب الاتصالات الوالدية المتبعة داخل مجتمعنا.

ثانياً: أدوات الدراسة، هي الوسائل التي تمكن الباحث من الحصول على البيانات من مجتمع البحث وتصنيفها وجدولتها، وقد استعان الباحث في دراسته الراهنة بـ:

الملاحظة دون المشاركة: وفيها يقوم الباحث بملاحظة الجماعة دون مشاركتها في أنشطتها ودون إثارة اهتمام المبحوثين، يكون الاتصال بأعضاء الجماعة مباشر دون شعورهم بأنهم تحت الملاحظة.

المفاهيم الإجرائية

الاتصال: ويشير إلى الطرق والوسائل التي يتفاعل بها الوالدان مع أبنائهما والأنماط السائدة في الأسرة والمتبعة في عملية التنشئة الاجتماعية ومدى تأثير هذه الوسائل على الفهم المشترك ما بين الوالدين والأبناء.

الاتصال أللفظي: وهو اللغة المنطوقة السائدة بين أفراد الأسرة ومدى تقبلها من قبل الآباء والأبناء.

الاتصال غير أللفظي: وهي لغة الإشارة ولغة الجسد التي تستخدم في التفاعل بين أفراد الأسرة.

القبولية: وهي مدى الرضا الحاصل من قبل الوالدين اتجاه أطفالهما والاقتناع بالإمكانيات والقدرات التي تتجلى في أطفالهم، وتشير أيضا إلى مدى أهمية ان يتقبل الوالدين أبنائهم كما هم وليس كما يطمحون وأثرها في تطور ونمو مفهوم الذات لدى الأبناء.

الإصغاء: وتشير إلى عملية الاستماع والفهم ما بين الوالدين وأبنائهم، وطرق وأساليب النقاش المتبعة بين أفراد الأسرة وأهميتها في فهم الوالدين لأبنائهم ومدى تأثيرها على نماء شخصية الأبناء.

مفهوم الاتصال

ان الاتصال الإنساني هو ضرورة إنسانية لتماسك الأفراد والجماعات والمجتمعات والشعوب. وهو القدرة على مشاركة الآخرين خبراتهم وأفكارهم وعقولهم ومعرفة حاجاتهم والعمل على إشباعها، وهو أيضا عملية التفاعل الاجتماعي بين المتكلم والمستمع والمشاهد وبين الكاتب والقارئ. والاتصال كذلك هو فن وعلم حديث يعتمد على غيرة من العلوم مثل علم النفس والاجتماع واللغة والفلسفة والسياسة، وهو فن التعامل مع الجمهور لكسب عقولهم وقلوبهم (أبو عرقوب، 1993).

ويُعرف الاتصال على أنه عملية نقل هادفة للمعلومات من شخص إلى آخر بغرض إيجاد نوع من التفاهم المتبادل بينهما (ياغي، 1403 هـ) وهو أيضا عملية تبادل الأفكار والمعلومات من أجل إيجاد فهم مشترك وثقة بين العناصر الإنسانية (علاقي، 1405هـ).

ويعني الاتصال المشاركة في المعلومات أو تبادل المعلومات والمشاعر والاتجاهات (Harm, 1974) ويرى آخرون ان الاتصال هو إرسال المعلومات للحصول على استجابة، فعندما تسأل سؤالا تريد إجابة عليه، وعندما ترسل رسالة، تتوقع رسالة جوابية عليها (Nimo, 1970).

وأيضا يمكن تعريف الاتصال بأنه: عملية تبادل ألمعلومات والأفكار بين أفراد أي مجتمع بعضهم بعضا سواء كانت أفكار ذات طبيعة علمية أم عملية أم اجتماعية أم ثقافية، وتنبع من حاجة الفرد إلى الكلام والاستماع والتفاعل مع الآخرين (روبنز، 1999).

ومما سبق يمكن تعريف الاتصال بأنه الطريقة التي يتفاعل بها أفراد المجتمع مع بعضهم البعض والوسائل التي تنتقل المعرفة والأفكار والمعتقدات بواسطتها من شخص إلى آخر، لإحداث تأثيرا معرفيا ووجداني وتبادل الخبرات والمعلومات بينهم.

الوالدان والقبولية

إن تقبل الوالدين للطفل يشكل المعيار والأساس لنجاح أسلوبهما في تربيته. فهو وحده الذي يخلق هذا الجو من الأمن الضروري لنمو شخصيته واكتمال اندماجه الاجتماعي، إلا أن هذا البعد التربوي الأساسي عادة ما يفرغ عندنا نحن الوالدين من محتواه الحقيقي حيثما ننظر إليه في إطار محددات التسلط أو التساهل ضمن سيرورة علاقة الوالدين بأطفالهما. فمن جهة يلاحظ أن الطفل الموجود عندنا في جو يتميز بالتسلط نادرا ما يعيش في اطمئنان أو يتعلم ما ينتظره منه الوالدين لأن السلطة كممارسة تربوية ما تزال تختزل في الأمر والإجبار عوضا عن التوجيه والإرشاد وفي الضغط والتشدد والتحكم عوضا عن التفهم والتسامح والحرية أحيانا.

إن تقبل فردية وسلبيات وأخطاء الطفل لا تعني بأي وسيلة قبول السلوك المنحرف والقبول هنا يعني العمل على جعل الأخر يعرف بأنه يفهم، وأنه يوجد هناك من هو مستعد للإصغاء إلى شعور وتفكير الآخرين وأنهم ذوو قيمة. وتعني أيضا تقبل فردية الشخص عند كل مرحلة من مراحل النمو والتطور والاستجابة إلى الحاجات المصاحبة لذلك التطور، وهذه الاستجابة تتضمن كل عوامل الحب من طرف الوالدين، وبهذه الاستجابة يظهر الأبوان مسؤوليتهما كأبوين محبين (Miller, 1978).

إن القبولية Acceptance تعمل على إسعاد الأطفال، وسعادة الطفل تهدف إلى تطور شخصية متجانسة يستطيع خلالها أن ينظر إلى العالم المتغير وإلى المستقبل بكل شجاعة وأمل. وبما أنه سوف يواجه دائما بعض الصعوبات خلال عملية النمو، فمن الممكن أن تـــؤثر على شخصيته إن نشأ وترعرع في مناخ عائلي، ومقبول كما هو، فـــهو يتعلم كـيف يطور الثقة بنفـسه، وبالتالي بالمحيط الذي يعيش فيه.

أما أسلوب التقبل فيتجسد فيما يظهره الوالدان من حب للأولاد، من خلال معاملتهما لهم، وتقبل الطفل هو شرط من شروط تنشئته تنشئه اجتماعية سليمة، والأطفال الذين يتم تقبلهم غالبا ما يكونوا أكثر تعاونا، وأكثر استقرارا وأكثر طُمأنينة من الناحية الانفعـــالية (الدمرداش، 1984).

وقد أظهرت دراسة (الين ومايكل، 1984) ان الأطفال العدوانيين والمضطربين انفعاليا والمتأخرين دراسيا قد تعرضوا للقسوة والنبذ من الوالدين، وان (80 - 90٪) من الأطفال الجانحين كانوا في طفولتهم ضحايا سوء معاملة الوالدين والنبذ والتسلط الذي عاشوه في طفولتهم، ويرى (اراجيل) ان أساليب التنشئة الاجتماعية غير السوية تحدد عدد الجانحين والمرضى الفعليين في مجتمع من المجتمعات (العويدي، 1993).

من هنا فإن ما يحتاجه الوالدان هو استعمال مهارة مؤثرة عند الاتصـــال والتفاعل مع أطفالهما إذا أرادا أن يساعداهم على اكتساب القيم الصحيحة والتفريق بين ما هو صحيح وما هو خاطئ، وتطوير علاقات اجتماعية صحية، وأن يصبحوا أعضاء مســئولين وبنـــائين في المجتمع. وحسب رأي (Johnson, 1972) "إن التطور الإنساني ككل تحقق من خـلال تفاعل مشترك والذي اعتمد على اتصال مؤثر وفعال".

لذا فعلينا أن نركز على ديناميكية وأهمية الاتصال بين الأبوين والأطفـــال والتي لا نستطيع أن نتجاهل تأثيرها على تنمية العلاقات الإيـجابية بيـــن الأبوين والأطـفال بشـــكل خـاص.

القبولية والإصغاء

على الوالدين أن يدركا أهمية الإصغاء ليس إلى كلام أطفالهما فقط بل الإحساس أيضا بما يـجول في خواطرهم، وعندما يحاول الأبوان ارتداء أحذية أطفالهما الصغار فإنهما يستطـيعان

معرفة ماذا يجول في خاطر أطفالهما وليس النظرة إلى الشيء من منظورهما كأبوين، وهذا يحتاج إلى صبر وتقمص عاطفي وتفهُم عندها سوف يتكلم الأطفال بحرية دون خجل أو خوف من الانتقاد والرفض، وسوف يشعرون بثقة كبيرة بأنفسهم لمعرفتهم بأنهم مقبولون بما هم عليه من قبل والديهم. وهذا يعلمهم أيضا كيف يصغوا لوالديهم ومراعاة شعورهما، وغير ذلك فإن النتيجة لا تبشر بالخير وإنما تنذر بسلوك منحرف.

وتطرق روجر إلى أهمية الإنصات فالإنصات برأيه هو الاستماع الجيد الذي من خلاله تسمع الكلمات والأفكار، ونغمات الأحاسيس، ومعنى الكلام بالنسبة للشخص المتحدث وحتى سماع الأمور التي نفسه غير واعي لها، هذا هو الاستماع العميق، فلو أتقن كل فرد فينا مهارة الإنصات الحقيقي للآخرين لأصبح للعلاقات بين الناس معنى آخر (مصالحه، 2003).

ملخص لنتائج البحوث الدالة على تأثير الوالدين على شخصية الطفل*

الرقم	جو الأسرة	أنواع السلوك الخاصة بالأطفال والمرتبطة بالجو العائلي
1	رافضة	خاضع، عدواني، صعوبة التكيف، الشعور بعدم الأمان، سادي، متوتر، خجول، عنيد، غير مطيع.
2	الحماية والدلال الزائد	طفولي، منسحب، خاضع، الشعور بعدم الأمان، عدواني، غيور، صعوبة التكيف، متوتر
3	والدان مسيطران	يعتمد عليه، خجول، خاضع، مهذب، واعي، غير متعاون، متوتر، شجاع، مشاكس، لا مبال
4	والدان خاضعان ومتساهلان	عدواني، لا مبال، غير مطيع، مستقل، واثق النفس، لديه قدرة على عمل صداقات بسرعة.
5	غير متناغمة (غير متجانسة)	عدواني، عصبي، غيور، جانح، غير متعاون
6	ناقصة التهذيب	تكيف ضعيف، عدواني، غيور، جانح، عصبي.
7	متناغمة ومتكيفة جداً	مطيع، تكيف جيد.
8	هادئة، سعيدة ومنسجمة	متعاون، تكيف عالي ومستقل.
9	قابلة للطفل	مقبول اجتماعيا ويواجه المستقبل بثقة.
10	اتجاه علمي ومنطقي	اعتماد على النفس، متعاون، متحمل للمسئولية
11	تهذيب شديد ومستمر	تكيف جيد
12	إعطاء المسؤولية للطفل	تكيف جيد، معتمد على النفس والشعور بالأمان
13	الوالدان يلعبان مع الطفل	الشعور بالأمان، والاعتماد على النفس

* النتائج خلاصة لعدة أبحاث أجريت على الاتصالات الأسرية

(Fletcher & Shaw،(2000). Wals (2002)، Resnick،etal (1997). Roff man (2002). Kurz (2002). Radke (1946).

عرض الحالات

الحالة الأولى

احمد والذي يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً، هو فرد في أسرة مكونة من ثلاثة ذكور وفتاتان. يحمل رب الأسرة شهادة البكالوريوس في الإدارة، ويعمل موظفاً في القطاع الحكومي، والأم تحمل درجة الدبلوم في اللغة العربية وتعمل في التدريس. يدرس احمد وإخوته في مدرسة حكومية قريبة من منزلهم، المكون من ثلاثة غرف نوم ومرافقها، في منطقية سكنية جيدة الخدمات. امتاز احمد بالنشاط،، والتفوق الدراسي، والاعتماد على الذات في عمل الواجبات اليومية في المرحلة الابتدائية، إلا أنه سجل لاحقاً تراجعاً أكاديمياً واضحاً، الأمر الذي دفع بمدرسيه إلى تنبيهه، ومحاولة لفت نظره للتراجع الحاصل، ومحاولة تحفيزه للاهتمام بالدراسة، ولكن دون نتيجة، أو تعاون، أو اهتمام من طرف الطفل، أو ذويه اللذان لم يزورا المدرسة أو يتابعا أبنائهم دراسياً. حيث يشير احمد في حديثه أن والداه لم يزورا المدرسة ولم يسألا عنه ولا عن إخوته منذ ثلاث سنوات وهذا الأمر ينطبق على ضعف المتابعة المنزلية للدراسة أو حتى الحديث عن اليوم الدراسي والذي يكاد يكون نادراً. حيث يبرر احمد هذا القصور من طرف والديه بانشغالهم الدائم صباحاً بوظائفهم ومساءاً بتبادل الزيارات العائلية والواجبات الاجتماعية. يقول احمد في حديثه عن هذه المرحلة أنني منذ الصف السابع شعرت بصعوبة في فهم بعض المواد العلمية واللغة الانجليزية وقد حاولت جاهداً الإفصاح عن هذا الأمر من خلال الحديث مع والداي وطلب المساعدة منهم ولكن لم يظهرا أي اهتمام أو مبالاة بمشكلتي ولو بتقديم الإرشاد أو النصح الأمر الذي اثر على مستواي الأكاديمي ومن ثم رسوبي في المدرسة.

يقول احمد: ما الذي كان بيدي فعله ولم افعله؟ عندما انظر لنفسي ألان وللفشل الذي يحيط بي اخجل من نفسي. ولما اعقد مقارنة بين الإهمال الذي يبديه والداي نحوي والاهتمام الذي يتمتع به أخي الجامعي من طرف والداي وفخرهم بنجاحه وخجلهم من فشلي واتهامهم لي بالإهمال وعدم الاكتراث لطلبي المتواصل بان يستمعا لي أو يساعداني على حل مشكلتي اخجل من نفسي، واخجل من طلبي المتكرر للمساعدة. تنتابني الآن مشاعر الملل وعدم الرغبة في مواصلة الدراسة، حتى أني لم يعد عندي رغبة في الجلوس مع والداي أو الحديث معهم حتى وأن طلب هما ذلك رغم حاجتي الماسة لوجود هذا النوع من الاهتمام لأني اشعر أن إهمالهم وعدم اهتمامهم جعلني غير مكترث وإن أبديا الآن أي اهتمام من طرفهم ما عاد له أي صداً في نفسي. وعند الحديث مع والداي احمد تبين أنهم غير راضين عن النتيجة أو الوضعية التي وصل لها الطفل احمد وأقرا بأنهما فعلاً لم يعطيا احمد الوقت أو الاهتمام الكافي للحديث معه أو الاستماع له رغم طلبه المتواصل عن مدى حاجته للحديث مع والداه. حيث أنهما كانا دوماً يتجاهلان ذلك

رغم أنهما يبديان اهتماماً زائداً بالأخ الجامعي لأحمد والذي يحفل بجل اهتمام والداه من حيث الحديث معه والاستماع له عن حياته الجامعية.

أدرك الوالدان الآن أن السبب الرئيسي في الفشل الدراسي الذي يعيشه احمد يدور في فلك الإهمال وعدم الاهتمام به من طرفهما أو الحديث معه عن مشاكله الدراسية أو الاستماع له خلال الثلاث سنوات الأخيرة أو تلقي رسائل الاستغاثة التي كان احمد دوماً يرسلها لوالداه ليخبرهما انه ألان في مرحلة المراهقة وانه بحاجة ماسة الآن لوالديه من خلال إيجاد وقت كاف للجلوس معه أو الاستماع له ليتمكن من تخطي هذه المرحلة بكل صعابها.

بعد دراسة هذه الحالة نجد أن الوالدين فشلا بالاتصال الفاعل مع احمد، والذي يدعم من خلال توفير الوقت الكافي للحديث مع الطفل والاستماع له وللرسائل المخبأة داخل احمد فضلاً عن ذلك فإنهما لجئا فعلاً إلى وسائل اتصال سلبية ومهبطة، من خلال توبيخ احمد وتحميله لوحده مسؤولية فشله الدراسي لا تقديم المساعدة له أو دعمه وذلك من خلال وضع اللوم عليه وتحديدهم بان التقصير ينحصر من طرف احمد، فوالداه أبدا لم يبخلا عليه بشيء ولكنهما نسيا تماماً أن السبب في فشل احمد كان ضعف المتابعة أو الاستماع له فقط.

الحالة الثانية

عمر سعاد خمسة عشر عاماً، والداها في الأربعين من العمر، الوالد يحمل شهادة البكالوريوس في المحاسبة ويعمل في القطاع الخاص، الأم تحمل شهادة جامعية في التاريخ وتعمل مُدرسة في القطاع الحكومي.

لسعاد أخت واحدة وأخ وهي أكبرهم من حيث الترتيب العمري، تسكن الأسرة معاً في منزل مكون من أربعة غرف نوم ومرافقها، وتحفل الأسرة بوضع مادي جيد جداً، وبجو عائلي مترابط.

والدا سعاد قلقان جداً عليها، حيث من الملاحظ أن عمرها العظمي لا يتماشى مع عمرها الزمني، وبعد عقد مقارنة بسيطة بين بنية سعاد وبنية أقرانها في المدرسة أو أبناء عمومتها يلاحظ مدى ضعف البنية الذي تمتاز به الشابة سعاد.

الوالدان قلقان على وضع سعاد ويصرحان أن نمو سعاد الجسدي غير متوازن مع عمرها الزمني، فضلاً عن أن وزنها لم يسجل زيادة ملحوظة في الفترة الأخيرة. تم عرض سعاد من قبل والداها على أطباء مختصين وكانت جميع نتائج الفحوصات والتقارير الطبية لا تشير إلى وجود مشكلة عضوية عند الشابة ومع ذلك فان الوالدان لم يخفيا قلقهم المتواصل على سعاد وأفصحا عنه دوماً من خلال الحث المتواصل للشابة على تناول مزيد من الوجبات الغذائية وممارسة الرياضة اليومية كمحاولة لإكساب الشابة بعض الوزن أو إحداث أي تغير في البنية الجسدية.

قامت الأم دوماً على عقد المقارنة السلبية بين بنية سعاد وبنية قريناتها من أبناء عمومتها كما أنها لجأت إلى التأنيب المستمر والمتواصل لسعاد على ضعف بنيتها متذرعة بأنها حريصة على سعاد وصحتها وتطمح من خلال هذه الوسائل أن تكسب سعاد بنية متوازنة مع عمرها وتحفز الشابة على الاهتمام بصحتها. لكن كانت دوماً النتائج سلبية من خلال ظهور الشخصية الكسولة والتي تعيش داخل محيط مغلق أحاطت به سعاد نفسها خجلاً من بنيتها الضعيفة منعزلة وحيدة داخل هذا المحيط الخاص لتجنب نفسها الانتقاد أو التجريح من زملائها في المدرسة كما هو الحال في المنزل.

سعاد الآن تعيش في عزلة خاصة تحتمي داخلها بعيدة عن الأعين التي قد تسبب لها الإحراج لضعف بنيتها مجنبة نفسها الانتقاد أو الأسئلة أو الاستغراب من احد لمدى الفرق بين العمر الزمني والعمر العظمي الذي تمتاز به سعاد. أن القلق المستمر من قبل الوالدين وخصوصاً بعد أن أثبتت الفحوصات الطبية أن سعاد لا تعاني من أي مرض أو مشكلة عضوية أدى بهم إلى سلوك أنماط اتصال سلبية كمقارنتها دائماً بغيرها وكثرة استخدام عبارات يجب عليك أن تأكلي أكثر، يجب عليك أن تمارسي الرياضة أكثر، يجب عليك أن تكسبي وزناً، يجب عليك أن تكوني كأبناء عمومتك بدلا من إتباع أنماط سلوك فاعلة وايجابية والبعد عن التأنيب لدرجة القهر أو يظهران التقبل لبنيتها الضعيفة بدلاً من الرفض،و الأخذ بيدها للخروج من العزلة التي لجأت لها لإخفاء مشاعر الخجل والخوف من المثول أو مواجهة زميلاتها. فلا بد من تقبل واقعها الحقيقي وتطوير مفهوم ايجابي للذات والذي بدوره يساعدها على نمو شخصيتها.

الحالة الثالثة

ينتمي يوسف ابن الثالثة عشر عاماً لعائلة مكون من سبعة أفراد، رب الأسرة يحمل شهادة البكالوريوس في التجارة ويعمل في القطاع الخاص، أما الأم فتحمل شهادة الدبلوم في التربية الإسلامية وتعمل ربة منزل.

يوسف هو اكبر إخوته سناً، يسكن في منزل عائلي مكونة من ثلاثة غرف مع مرافقها الوضع المادي للعائلة جيد إلا أن الأجواء العائلية يسودها التوتر أحيانا بسبب عصبية الأب. يقول يوسف: والدي لا يفصح المجال لي أو لإخوتي أو لوالدتي بالحديث الكافي مما يجعلنا دوماً مترددين في طرح أي موضوع أمامه فوالدي يطلب دوماً أن تسير الأمور كما يريد هو دون دراسة أو استماع يقول يوسف: كثيراً ما نحاول أن نناقش موضوعاً معيناً مع والدنا لإقناعه بوجهة نظرنا ولكن سرعان ما ينهي الحوار ويرفض الحديث بالموضوع بطريقته هو والتي أبدا لا تفسح المجال للحديث أو النقاش.

يقول يوسف في حديث آخر: نحن نبذل الجهد الكبير ليرضى والدنا عنا فأنا سلوكي جيد جداً واهتم بدروسي ولا أتذمر، متعاون جداً داخل المنزل ولم يشكو احد خارج المنزل مني كما أني لا اطلب شيء خارج عن قدرة العائلة فقط الضروري.

ولما سئل يوسف عن السبب، أجاب بأنه دوماً يخشى ردة الفعل العصبية من والده والتي دوماً ما يصبها على والدتي ويلومها ويحملها مسؤولية كل شيء ويعلق عليها كل مشاكله، والدتي مثلي تماماً لا تتذمر وتحافظ علينا وعلى المنزل وهي أيضاً لا تطلب شيء، يمر يوسف بمرحلة تشتت يقول: لقد حصلت على معدل جيد جداً في امتحان الفصل الأول للصف الثامن في مدرسة حكومية يوجد ترتيبات في المدرسة للذهاب في رحلة إلى منطقة البتراء ارغب جداً أن اذهب في هذه الرحلة ولكني متردد كثيراً ماذا لو طلبت من والدي الذهاب في هذه الرحلة؟ كيف ستكون ردة فعله؟ هل سيوافق؟ هل سيرفض؟ لا أدري.....

لجأ يوسف لوالدته وطلب منها الدعم والتشجيع ليتقدم لوالده ويطرح عليه موضوع رحلة البتراء، فعززت والدتي تشجيعها أن تحصيلي الدراسي للفصل الأول يجعلني جديراً بأن احصل على الموافقة من والدي للذهاب في هذه الرحلة. يقول يوسف: لقد اغتنمت اللحظة التي كان بها والدي يضحك ويلهو معنا وهي نادراً ما تكون. تقدمت من والدي وأفصحت له بتلعثم عن موضوع الرحلة وقدمت له ورقة الموافقة ليمنحني الفرصة للمشاركة في هذه الرحلة. يقول يوسف: أن اللحظة التي أخرجت فيها ورقة الموافقة كانت وكأنها كبسة على زر التحويل من الضحك والمداعبة النادرة إلى العصبية والنكد المعتاد داخل أسرتي.

تدخلت والدتي لشرح الأمر وتقديم المساعدة لي، أجاب والدي أنا الرجل هنا والكلمة الأولى والأخيرة لي، قلت لا.... يعني لا.... قل هذا لمعلمك. يقول يوسف: وبذلك انتهى الأمر دون ذكر سبب واحد. أتساءل دوماً عن السبب وراء هذا الرفض هل السبب المال؟ هل السبب أن والدي غير راضٍ عن أدائي الدراسي؟ هل السبب عدم قناعته بأهمية هذه الرحلة؟ هل سلوكي هو السبب؟ أم أن والدي يشك في قدرتي على تحمل المسؤولية خارج البيت؟ ألست أنا مثل زملائي؟ لماذا لا أشارك مثلهم في النشاطات؟!

يمر يوسف الآن في حالة من اليأس والإحباط وتحيط به أسئلة لا أجوبة لها. يكتم الكثير من الحزن داخله وهو بحاجه ماسة لمن يسمعه ويتحدث معه ليتخلص من كل الثقل الذي في خاطره.

يثبت لنا من هذه الحالة أن الوالد يفتقر إلى المعرفة الحقيقية لدور الأب داخل محيط الأسرة وطبيعة العلاقة الايجابية التي يجب أن تكون بين الأب وأطفاله وزوجته فهو يلجأ إلى أنماط اتصال غير فاعلة لكن مؤثرة سلباً على الأطفال وعلى شخصيتهم المستقبلية، فاستخدام الوالد للعبارات الختامية التي لا تسمح باستمرار الحوار وتغلق النقاش فارضةً رأيه المتشدد دون إبداء أي أسباب

رغم أن والد يوسف يستطيع أن يستخدم أنماط اتصال أكثر فاعلية مع أسرته من خلال الاستماع الجيد والاهتمام بما يقوله أولاده ويشرح ويوضح الأسباب الكامنة وراء الرفض أو الإيجاب.

الحالة الرابعة

يعيش خالد ابن السبع سنوات مع أخته ذات الأربع سنوات مع والداهما في منزل مكون من ثلاث غرف نوم ومرافقها في منطقة سكنية حديثة البناء. الوالدان يحملان شهادة البكالوريوس، الأب في التسويق والأم في الإدارة وكلاهما يعمل في القطاع السياحي. وبذلك نادراً ما كان الوالدان يتواجدان في نفس الوقت في المنزل الأمر الذي جعلهما يوكلان مهمة تربية الطفلان للخادمة، حيث يعتقد الوالدان أنهما بذلك سوف يستطيعا تأمين حياة أفضل لهم ولأطفالهم.

ولطبيعة عمل الوالدان بالسياحة ضمن نظام الورديات فنادراً ما يتواجدان سوياً في المنزل. يعاني خالد كثيراً من فقدان العاطفة من طرف الوالدين فتواجدهم فقط في المنزل ليلاً وخالد نائم لا يمنحه الفرصة الطبيعية ليعيش الجو العائلي الطبيعي والذي يكتسب من خلاله العاطفة الحقيقية والطبيعية والتي يفترض أن تعيشها الأسرة.

بالإضافة إلى فقدان الحب والحنان فان الموسوعة اللغوية عند خالد ضعيفة، ومقتصرة على اللهجات القريبة من اللهجات الشرق آسيوية، والتي يكتسبها خالد من الخادمات اللواتي يعتمد عليها الوالدين في تربية خالد وأخته ناهيك عن أنهم لم يرسلوه لروضة أو حضانة. ولتواجد خالد باستمرار مع الخادمة فقد ارتبط بها ارتباطاً قوياً فهو لا ينام حتى في هذا العمر إلا بوجود الخادمة.

يقول الأب: لما سافرت الخادمة لاحظنا ظهور اضطراب في النوم عند خالد وشقيقته لجأ الوالد إلى التشديد على خالد، وإخباره انه الآن كبير وعليه الاعتماد على نفسه وأن والداه استغنيا عن الخادمة لمصلحة خالد وأخته لأنه لا بد وأن يذهبا للمدرسة الآن، ويكتسبا اللغة العربية كما أن خالد قد كبر وعليه تحمل المسؤولية في المنزل استمر هذا الأمر خمسة أشهر حيث كان على خالد ان يستيقظ صباحاً يحضر الفطور والسندويشات لأخته ثم يرسلها للروضة ويذهب لمدرسته وفي طريق عودته عليه اخذ أخته من الروضة والعودة للمنزل وما عليه إلا أن يسخن طعام الـغداء له ولأخته فالوالدان في العمل وانشغالهم لمصلحة وحياة أفضل لخالد وأخته وعليه أن يقدم بدوره المساعدة لوالديه والاعتناء بأخته الصغيرة.

ولما كان خالد ينفذ المطلوب منه ويسخن الطعام له ولأخته حصل تسرب في الغاز مما أدى إلى نشوب حريق في المنزل. هرب خالد وأخته خارج المنزل تدخل الجيران والدفاع المدني لإطفاء الحريق.

يقول احد الجيران: كان خالد خائفاً جداً ليس فقط من الحريق بل كيف ستكون ردة فعل والداه لما يحضران ويعرفان بالذي حصل كما يضيف الجار انه لما حضر الوالدان كان خالد يرتجف ويبكي والوالد يشتم ويؤنب خالد على هذا الفعل أمام الجميع ويخاطب خالد وكأنه شاب بالغ عاقل يدرك ما يدور حوله فاللوم حسب رأي الوالد يقع على خالد ويستخدم كلمات من التجريح والتي تؤثر في الكبار قبل الصغار كما يقول الجار.

يعاني خالد الآن من التبول اللاإرادي، الخوف من الليل، الخوف من رؤية الدخان أو النار. تم عرض خالد بعد تدخل بعض الأهل من طرف الوالد على طبيب نفسيّ فكانت التقارير تثبت أن الحرمان العاطفي وبعد الأهل عن الطفل في بداية عمره ومحاولة التركيز عليه وإعطاءه مسؤوليات لا تتناسب مع عمره كما أن فقدان الاتصال اللغوي واللفظي بين خالد ووالديه من أهم الأسباب التي أوصلت خالد الآن إلى تأخر في نمو الشخصية والخضوع إلى معالج سلوكي ونفسي.

من هذه الحالة يثبت لنا أن الأهل لم يدركا أهمية بناء اتصال مع أولادهم في عمر مبكر ومدى فاعلية هذا الاتصال عن طريق اللمس، والمعانقة، والذي افقد خالد الكثير من الحب والحنان كما أن مواصلة الوالدين معالجة الخطأ بالخطأ والتي ابتدأت بإهمال خالد بعمر مبكرة، ولما لاحظا انه كبر استغنيا عن الخادمة لحل مشكلته اللغوية كما ظنا بإعطائه مسؤولية الاعتناء بأخته الأمر الذي سلب منه طفولته والتي هو بأمس الحاجة لها ولوالديه لا أن يلعب دورهما.

الحالة الخامسة

عماد ابن الرابعة عشر حاول مؤخراً الانتحار، يقول عماد: أعيش مع أسرتي المكونة من خمسة أفراد وأنا أكبر إخوتي ادرس في الصف التاسع أطمح أن أكمل تعليمي الجامعي رغم أن تحصيلي الدراسي ضعيف واحمل مادتين. والدي يحمل شهادة الدبلوم ويعمل في القطاع الحكومي وأمي ربة منزل وتحمل شهادة دون التوجيهي.

يسود عائلتي الجو الهزلي وعدم الجدية خصوصاً والدي فجونا العائلي لا يشجع، فمعظم حديثنا يتحول تلقائياً إلى هزل وتعليقات وسخرية ولا يكاد الواحد منا يتحدث عن طموحه المستقبلي أو آماله حتى يبدأ الهزل والسخرية.

أشعر أحياناً بعدم الرغبة بالحديث مع والدي لأتجنب سخريته من حديثي، يبتسم عماد ويضيف هذا الأمر ليس جديداً وليس وليد اليوم فمنذ طفولتي وأنا أعاني من هذه المشكلة.

كما يضيف أنني لما اطلب مساعدة والدي يواجهني بالتعليقات الساذجة والتي تجرح مشاعري وتحيطني بالهزيمة.

لمن ألجأ؟ أين أذهب؟ أنا بحاجة لمساعدة! بهذه الأسئلة والعيون تدمع يفسر عماد سبب محاولته الانتحار.

يسرد عماد آخر قصصه الهزلية مع والده حيث يقول: كنا جالسين في المنزل وعندنا ضيوف ومن بينهم ابن لهم هو من عمري وفي نفس صفي الدراسي تحول الحديث من قبل والد صديقي عن الطموحات المستقبلية التي يتمناها الأهل لأولادهم ومدى طموحهم بأن يكبر أبنائهم ويرونهم ناجحين في حياتهم، فالوالدان دوماً يضحيان من اجل مستقبل أبنائهم ويحاولان دوماً تجنيب أبنائهم الظروف القاسية التي مروا بها أنفسهم.

يضيف عماد وكان هناك تبادل للحديث بين أفراد أسرتي وأسرة زميلي حول هذا الأمر وطموح كلاهما بنا. أشار زميلي عن رغبته في دراسة الهندسة، أيده والده وشجعه وربت على كتفه وقال له نحن نريد لك دائماً الأفضل وأن كان هذا طموحك واتجاهك فإننا سوف ندعمك ونكون بجانبك ولا تنسى يا بني أن هذا الطموح حتى يتحقق لا بد من أن تبذل جهداً إضافيا من طرفك في السنة القادمة لتحصل على معدل يؤهلك للحصول على التخصص الذي يحقق طموحك.

يقول عماد: لقد وجه والد زميلي سؤالاً لي حول طموحي المستقبلي فتبسمت وقلت له: أن طموحي هو أن ادخل كلية الطب وسوف أكون جاداً السنة القادمة لأحصل على المعدل المطلوب داخل الأردن أو حتى الحصول على بعثة خارجية وفجأة يقول عماد اخذ والدي بالضحك وقال لي بسخرية: بالطبع يا بني بالطبع وعلى كتفك نجمتين مشيراً إلى المادتين اللتين قصر بهما في السنة السابقة وكل سنة تحصل فيها على هذه النتيجة سوف تصبح رائد فضاء وليس طبيباً فقط وينهي والدي كلامه بضحك جهور قزمني.

يضيف عماد: أنني في هذه اللحظة شعرت بالخجل والانحطاط إمام أهل زميلي بل لقد تمنيت الموت، ثم أن والدي لم يكف عن استخدام عبارات التوبيخ والسخرية التي اعتادت أذناي سماعها لم يخجل والدي أبدا بل لم يشعر بمدى الجرح الذي سببه لي في تلك اللحظة فبعد خروج الزوار ذهبت للثلاجة خلسة وأخذت كمية من الأدوية المنوعة لأتخلص من هذا الجو الذي أعيش فيه وتناولت الأدوية وبعد فترة شعرت بآلام في البطن شديدة تم نقلي إلى المستشفى من قبل أسرتي ولولا الرعاية الإلهية لكنت الآن في عداد الموتى.

يقول والد عماد: لقد شعرت في تلك اللحظة بالأخطاء التي كنت غالباً ما ارتكبها مع أبنائي فانا السبب في تراجعهم الدراسي فالخطأ خطأي ويجب علي إنقاذ الموقف وإنقاذ أطفالي ثم ينهار الوالد باكياً.

إن أنماط الاتصال التي اتبعها والد عماد في هذه المرحلة هي من الأنماط السلبية والتي تؤثر على بناء الشخصية كما حصل مع عماد. سواء أكان ذلك من خلال دعوة ابنه بالكسول أو نعته بالغبي وصفات أخرى غير مقبولة وتوبيخه بدل من تقديم المساعدة، والسخرية من طموحه بدل من دعمه وتحويل الأحاديث والنقاشات إلى عبارات من السخرية والهزل جميعها مجتمعة كادت تودي بحياة عماد والذي يسعى الآن جاهداً للوصول لما كان يصبوا له.

الحالة السادسة

سامر ابن السبع عشرة عاماً تقريباً هو فرد في أسرة مكونة من ستة أفراد بالإضافة للأب والأم، سامر لديه شقيق وأختان وهو الأكبر من حيث الترتيب العمري في الأسرة.

سامر الآن في الصف الحادي عشر الفرع الأدبي في إحدى المدارس الحكومية. من خلال مراجعة سجله الأكاديمي يلاحظ أن تحصيل سامر كان في معظم السنوات الدراسية السابقة يتراوح بين معدل 85% إلى 92% لكنه تراجع بشكل ملحوظ في الصف العاشر والحادي عشر. وعن هذا الوضع يقول والد سامر: إن ابني كسول ولا يبذل جهداً كبيراً ويقضي معظم الوقت في النوم، متوتر وأنا لا استطيع معرفة السبب! لقد حاولت دوماً توفير كل ما يحتاج له سامر، لا ينقصه شيء وعليه أن يشعر دوماً بالسعادة وأنا لا اطلب منه سوى الاهتمام بدروسه فقط.

وعن هذا الوضع يقول سامر: والدي يقول الصواب أنا فعلاً استطيع الحصول على المعدلات المتفوقة في المدرسة وكل نتائجي السابقة تشير لذلك ولكن صدقاً لا اعرف ما هو السبب وراء هذا الإخفاق الذي يحدث الآن معي، كل ما استطيع قوله ألان إني مشتت الذهن، أحاول أن اهرب من هذا الإحساس بقضاء فترات أطول بالنوم، أو تجنب الآخرين وخصوصاً أهلي وذلك من خلال قضاء وقت كبير في غرفتي، بدون أن يزعجني احد.

والداي فقط يؤكدان عليّ انه يجب أن ادرس واحصل على معدلات متفوقة حاولت دوماً أن اشرح لهم وضعي وأن ابحث عندهم عن حل لهذا التشتت الذي ينتابني لكن أرى في عيونهم نظرات عدم الرضا فأتراجع في طرح الأسئلة أو الخوض في أي موضوع أمامهم، أو حتى طلب مساعدتهم في أي شيء.

يقول والد سامر: إن ابني كسول ولا يبذل الجهد المطلوب منه وقد اخبرني مدرسوه انه في تراجع واضح في أداءه المدرسي أنا والده وكل ما أريده منه هو أن يعود لسابق عهده في التفوق والتمييز الأكاديمي ولكن لا اعرف كيف افعل ذلك.

إن سامر يعاني من الانطواء هرباً من الانتقاد والحث المستمر على الدراسة فالأهل لا يتفهمون أن سامر يمر الآن في مرحلة المراهقة وإنها فعلاً مرحلة مرهقة وصعبة ويكون

المراهق جداً بحاجة لوالديه ليفهما الرسائل المخبأة في داخل ابنـهم وأن يدركا مـدى أهمية مساعدة الابـن والكيفية في المساعدة ليتخطى هذه المرحلة بكل يسر متخلصا تماما من كل الصعاب والانعكاسات المرافقة واللاحقة لهذه الفترة ومنها مشكلة سامر، من تراجع أكاديمي يصاحبه تغيرات فسيولوجية تحدث للأبناء أثناء فترة المراهقة.

الوالدان يحبان ابنهما ويريدان دوماً له الأفضل والنجاح في حياته المستقبلية ولكنهما يستخدمان أنماط اتصال سلبية مع ابنهم وذلك من خلال التأكيد المستمر والمتواصل على ضرورة الشعور بالامتنان فكل الأشياء متوفرة عنده ويعيش في مستوى مادي قد وفراه له والداه فما عليه إلا الاهتمام بدراسته بدلاً من أن يكتشفا ما هي الرسائل المخبأة عند ابنهم كانا دوماً يوجهانه بقول يجب عليك..!

كما أن الوالدين قد فشلا أيضا في إشعار ابنهم بأهميته فرفض رأيه الواضح في نظرات عيونهم عند حديثه عن أي موضوع كما يشير سامر كان له الأثر الواضح في اختيار سامر للوحـدة والعزلة.

كان على الأهل لو اكتشفا مبكراً بان سامر يمر بمرحلة مراهقة صعبة وانه يحتاج لإيجاد وقت كافٍ للحديث والاستماع له أن يجيدا هذا الاستماع في هذه الحالة فمرحلة المراهقة بكل تفاصيلها سوف تكون بأقل الصعاب والتأثير عليه بإتباعهما أنماط اتصال أفضل وايجابية مع سامر.

الحالة السابعة

سيف في التاسعة عشر من عمره، هو فرد في أسـرة مكـونة من سبـعة أفراد ثلاث بـنات وولدان سيف هو الأخ الأكبر في العائلة يسكن الأطفال مع والديهم في منزل مكون من خمسة غرف ومرافقها وضع الأسرة المادي جيد جداً فالأب متـعلم لمـرحلة التوجيهي ويعمل في التجارة أما الأم فتحمل شهادة الدبلوم وتعمل معلمة في القطاع الحكومي.

سيف الآن في السنة الجامعية الأولى يدرس الهندسة تخصص كمبيوتر يقول سيف عن نجاحه، انه يوعزه لوالديه فمنذ نعومة أظفاري لم يبـخل والـديّ علي بحـبهم وحنانهم ورعايتهم فلقد كانا دوماً المثل الأعلى لي ولأخوتي نحن جميعاً متفوقين دراسياً فلم يسجل علينا أي مشاكل سلوكية أو تراجع أكاديمي نشارك في معظم النشاطات المدرسية أن الفضل يقول سيف يعود لوالديّ لقد كانا دوماً معنا.

أما السيد رمضان والد سيف فيقول عن هذا النجاح العائلي: لقد حاولت دوماً أن أعوض ما فاتني من تعليم بأبنائي فمنذ ولادة سيف أخذت على عاتقي أن أكون مثالاً للأب المربي وام

سيف كانت خير عون لي في هذا الأمر فبالرغم من ساعات عملي الطويلة إلا إني أدرك تماماً مدى أهمية نوعية الوقت الذي علي ان اقضيه مع أبنائي أيام العطل والجمع التي كنت اقضيها في المنزل واخصها لأطفالي أنا اعرف أني لا استطيع مساعدتهم دراسياً ولكن كنت دوماً اسألهم ان كانوا بحاجة لمساعدة أقدمها لهم.

احضن أولادي دوماً يقول والد سيف: صباحاً ومساءاً وعند عودتي من العمل وكلما سنحت الفرصة لذلك وكلما شعرت بحاجة لأعانق أطفالي، صدقاً كنت احتاج لهذا العناق وأنا الأب الكبير فكيف كان حال الأطفال؟ واعقد معهم اجتماعات شهرية للنقاش في أمور كثيرة، واستمع جيداً لما يقولون أحيانا تكون الفكر ايجابية فنطبقها وأحيانا تكون الفكر بحاجة لمناقشة وتطوير أو تعديل مما يجعلنا نواصل النقاش والحوار حتى نصل لوضع مشترك يتفق عليه الجميع.

يقول سيف: أنا أناقش والدي وكأنها مناظرات لقد كان يستمع دوماً لي ويتقبل مني ويظهر لي دوماً اهتمامه بما أقول ويندمج مع أفكاري لقد كنت أحيانا أحاول استفزازه للمداعبة صدقاً لقد كان يتحملني كأنه صديق وليس والد لي. لقد تعلمنا من والدينا كيف نتعامل مع الآخرين انه الحب والاحترام كما انه يوجد خطوط حمراء يجب علينا عدم تجاوزها في التعامل والاتصال مع الآخرين سواءً داخل أسرتي أو خارجها.

يضيف سيف: لقد كان والدي على تواصل مع مدرستي من خلال الزيارات المدرسية للاطلاع على انجازاتي الأكاديمية لقد كان دوماً يشجعني كنت اخذ العزم منه والقوة وأضيف لها جهودي لأكون من المتفوقين ان هذا حالي وإخوتي داخل هذه الأسرة التي يسودها علاقات الحب وجو الحنان. تقول الأم: نحن هنا أسرة متماسكة يتواصل أفرادها مع بعض كأصدقاء لا يوجد حد لهذه الصداقة ولكن هناك أمور يجب ان لا يتخطاها الصغار لقد استطعنا دوماً أنا وأبو سيف ان نوضحها لأطفالنا ونحميهم من الانخراط بها نحن الآن بدأنا نحصد نتائج هذه التربية السليمة.

الحالة الثامنة

نايف عمره عشرون عاماً عدد أفراد أسرته أربعة، أخاه الأصغر عمره عشر سنوات يعيش الأخوان مع والديهما في منزل مكون من أربعة غرف ومرافقها، وضع العائلة المادي جيد جداً، فالوالد يعمل في القطاع المهني والأم ربة منزل، العلاقة الأسرية جيدة جداً.

يدرس نايف الهندسة الميكانيكية، هو ألان في السنة الجامعية الثانية نتائجه الجامعية تشير انه متفوق دراسياً. خطاه للمستقبل ثابتة يسجل تفوقاً وتقدماً في كل فصل جامعي عن سابقة في أيام العطل يشارك نايف والده العمل في ورشة للميكانيك.

يقول والده ارغب من هذه الخطوة ان يكون نايف على معرفة ما يحدث هنا كما أني اطمح بمساعدته لي في العمل. وعن هذه المرحلة يقول نايف نعم أنا اجلس خلف مكتب الورشة ومعي كتبي احضر دروسي، كما أني استحدثت نظاماً حديثاً للعمل في الورشة فقد أدخلت الكمبيوتر هنا وجمعت عليه كل بيانات المدخلات، واستحدثت نظاماً للجرد خاص بقطع السيارات الموجودة في المحل، مما جعل العمل سهلاً وصار بإمكان والدي الآن استخدام هذا الجهاز والاطلاع على كل البيانات الخاصة بالمحل من خلال النظام الذي وضعته له ليسهل الجرد عليه.

يقول نايف ان والدي أسس لنا هذه الورشة منذ صغره، وبذلك يكون قد وضع لنا قاعدة قوية في السوق ويجب علي أنا وأخي ان نحافظ على هذا النجاح، لذلك ادرس الميكانيك الآن سأدخل الكثير من التغييرات والتطوير على نظام العمل في الورشة ليتماشى مع تطورات السوق المحلية عندما انهي دراستي الجامعية، وسوف استثمر كل دراستي لصالح ورشة والدي لأنها في النهاية لي ولأخي.

كما يضيف نايف ان التوفيق كله من الله لكن مجهود والدي ووالدتي لا يمكن إغفاله أو تجاهله فهو سر نجاحنا في حياتنا العلمية والعملية فمعظم الوقت نقضيه كاسرة متواصلة متماسكة في قضاء أوقات الإجازة أو التنزه أو المناقشة، نعيش حياة أسرية يسودها مناخ الحب والحنان والتفاهم الأسري صحيح والدي لا يحمل شهادات دراسية عليا لكنه عوض ذلك في أبناءه فمنذ طفولتي وأنا اشعر ان والدي هو المثل الأعلى لي في التواصل، والمثابرة، والاتصال العائلي، والاجتماعي.

لقد تعلمت كل الأمور الحياتية من خلال عائلتي في كيفية استغلال الوقت، والتواصل، والاتصال، والتفاعل مع الآخرين، لقد أصبحنا مثلا يحتذي به عند الآخرين.

كلما كنت وما زلت احتاج لشخص أتحدث إليه يكون والداي خياري الأول، لقد كانا دوما متواجدين مستمعين لي بأذن صاغية، وتفاعل مشجع، وتفهم لما أريده.

من خلال المناقشة قبل إصدار القرار أو النصح أو الإرشاد. والدي على معرفة واضحة لما يجول داخلي -هكذا اشعر دوما- وأنا دوما أداعبهما بقولي: لا استطيع ان اخفي عليكم شيء فانتم قد تغلغلتم داخلي وعلى اطلاع لما يجول في داخل عقلي.

يضيف نايف أما إذا حدث شيء من طرفي أو طرف أخي سبب الانزعاج لوالدي لم يكونا يعبران عن ذلك بالتجريح أو التأنيب لقد كان دوما أسلوب التوضيح والنصح والتوجيه هو الحل والطريقة للتعبير عن الانزعاج لما حدث لقد تعلمنا في هذا المناخ الأسري الآمن ان نجيب

بصراحة لأننا نسأل بصراحة فلا مجال للخداع أو التزييف ان مشاعرنا واضحة واحترامنا لبعضنا وطريقة النقاش وطرح الفكرة هو أساس وجوهر هذا الأسلوب وعوامل هذا المناخ الأسري الآمن.

تعلمت منذ صغري من والديّ الكفاح والصبر والعزيمة وتحديد الهدف والمثابرة للوصول له، سأكون دوماً فخراً وعزاً وسنداً لهم بهذه الكلمات أنهى نايف حديثه.

طرق الاتصال اللفظية المؤثرة سلباً على الأطفال

من خلال مناقشة الحالات السابقة نستطيع ان نؤكد بأنه يوجد هناك عدة طرق وأنماط للاتصال تؤثر سلبا على نمو الشخصية عند الطفل والتي يستخدمها الوالدان والتي بدورها تعيق عملية الاتصال ومنها:

أولاً – إعطاء الصبغة للطفل

أنت دائماً بطيء، لم تنجز عملك بالوقت، أنت ثقيل الهمة، كسول، هذه العبارات وغيرها تؤثر سلباً على تفهم الطفل لذاته وبناء صورة أو فكرة ايجابية لها، كما هو واضح من الحالة السادسة، كيف ركز الوالدان على ان ابنهم سامر كسول وحملاه المسؤولية بالتراجع الأكاديمي.

ثانياً- الدعوة بأسماء غير مقبولة

من العادات السلبية الشائعة في مجتمعنا هي دعوة الطفل بغير اسمه، ومثال ذلك بان تدعوه بالغبي والمجنون والمتخلف أو حتى بالحيوان، كلها كلمات تتردد باستمرار ويتبادلها الوالدان للكلام حول أطفالهما. هذه العبارات من شأنها أن تجعل الطفل أكثر انحرافيه وتشعره بالغضب والكره لوالديه، بالإضافة إلى أنه لن يغير تصرفه بل سيمارس تصرفات مناسبة للاسم الذي أطلق عليه. وهذا بحد ذاته جنوح عن الأنظمة الدينية والأخلاقية والاجتماعية التي تتحكم بتصرفات الأفراد داخل المجتمع. وقد اتضح ذلك في الحالة الرابعة حيث لجا الأب إلى شتم خالد بكلمات وأسماء غير لائقة.

ثالثاً – التأكيد على أن الشعور دائماً يجب أن يكون جيداً

حث الطفل بأن لا يشعر بالغضب تجاه الآخرين بأمره بأن يجب عليه أن لا يشعر بالغضب تجاه هذا وذاك لأنه أمر سيء. هذا فعل غير ايجابي لأن شعور الطفل لم يكن جيداً أو سيئاً ولكنه عبر عن ما يجول بداخله من خلال تجربته الشخصية لذلك الموقف. إن ردة فعل الطفل وشعوره تجاه أي موقف يجب أن يقبل وأن لا يواجه بالرفض قبل أن يقدم الكبار النصح والإرشاد له. وتبين لنا في الحالة الخامسة كيف حاول عماد الانتحار بسبب الشعور بالانحطاط والهزيمة جراء التعليقات الساذجة للأب وعدم مراعاة شعور ولده عماد.

رابعاً – الرفض لمناقشة موضوع معين مرة أخرى

إن رفض الوالدين للحديث عن موضوع معين ومناقشته بايجابية والإجابة "بأنني لا أريد أن أتحدث بهذا الأمر ثانية" يظهر السلطة الصارمة والسلبية للوالدين تجاه أطفالهما، وإن الانسحاب من مناقشة المشكلة لا توضح المسألة لأنه يوجد عدة أشياء في الموضوع تركت بدون مناقشة، والشعور بالضعف وعدم الأهمية وهزالة المكانة التي يُكنها الوالدان للطفل لهي نتيجة سلبية سوف يشعر بها ويحاول البحث عن أشخاص آخرين لتبادل وجهات النظر معهم، وتشير الدراسات إلى أن معاملة الأب لطفله على أساس من الصرامة والقسوة كثيراً ما تعود في البلدان العربية إلى التجارب المرة التي عايشها الأب، حيث تجعله يعيد مع طفله نفس المعاملة التي كان يُعامل بها أثناء طفولته (حسن 1970، إسماعيل 1974).

لقد تبين لنا في الحالة الثالثة مدى السلطة الصارمة التي يمارسها الأب داخل المنزل، ومدى التأثيرات السلبية التي أحاطت بجو الأسرة بدلا من استخدام الأسلوب التربوي في التعايش داخل الأسرة.

خامساً:- انتقاد تصرفات الطفل دون تحديد

إن تعبير الوالدين أو رد الفعل تجاه تصرفات أطفالهما لها تأثير سلبي إذا لم تكن محددة، فعلى سبيل المثال إن توضيح شعور الأب بقوله "إني غضبان عليك". دون تحديد السبب سيكون تأثيره مختلفاً لو أنه وُضع بشكل آخر مثل "سوف أغضب عليك أو لن أرضى عنك إذا رأيتك تشتم أو تضرب أخاك ثانية"، فعندما يكون التعبير بعدم الرضا بهذه الطريقة، فإنه سوف يشعر الطفل بان الفعل الذي قام به غير سليم، بدلاً من أن يكون هائماً بمعرفة سبب غضب الوالدين، وفهمه للمسألة بأنه مرفوض وغير مقبول داخل البيت. وظهر هذا جليا في الحالة الأولى وكيف أهمل الوالدان مطالب احمد عندما لجأ لهم ولم يظهرا أي اهتمام بهذه المطالب دون تحديد الأسباب لذلك مما أشعره بالإحباط والهزيمة وعدم الرغبة في مواصلة الدراسة.

سادساً:- التوبيخ بدلاً من المساعدة

توبيخ الطفل بسبب حصوله على علامة متدنية مثلاً، لا يمكن أن يكون عاملاً مساعداً وفعالاً في تغيير النتيجة. يلجأ الوالدان غالباً إلى التوبيخ للتعبير عن عدم رضاهما بقولهما: "كان يجب عليك أن تدرس أكثر"، بدلاً من مناقشة ورقة الامتحان والإطلاع على مدى استيعاب الطفل ومساعدته بالمسائل التي يحتاجها وبالتالي الحصول على درجة أعلى في المرة القادمة.

وكما يتضح لنا من الحالات الأولى والخامسة وكيف لجأ الوالدين لهذا الأسلوب بدلا من تقديم المساعدة والسماع والاهتمام لما يقوله أبنائهم واكتشاف الرسائل المخبأة وعدم اللجوء إلى تحويل الحديث إلى انتقاد وقهر وتأنيب.

إن الشعور بالخجل والإهانة والغضب والندم، يواجهها الأطفال عندما يكون أداؤهم ضعيفا في مدارسهم، ومن المهم هنا أن يعرف الأبوان الشعور بضرورة المواجهة والمحاولة بدلا من معالجة الخطأ بالخطأ. إن الرسوب بحد ذاته يعد درسا للطفل ويجعله مهتما أكثر بدراسته في المستقبل، وإن تذكيره بالرسوب في كل مرة يجعله يشعر بالخوف والإحباط في مواجهة الامتحانات وإذا لم يتم تقبل النتيجة من قبل الوالدين فإن الطفل سوف يشعر بأنه شخص غير مرغوب فيه،وهذا يدفعه بضرورة للبحث عن بديل. ويقول (Kirpalani, 1986) في هذا "يحتاج الوالدان لإعطاء كل الحب والمساعدة والوقوف إلى جانب أطفالهما عندما يحاولون أن يتخطوا تجربة مريرة في حياتهم".

سابعاً:- فرض رأي الوالدين على الطفل دون إبداء الأسباب

إن رفض الوالدين إشراك أطفالهما في فعاليات خارج نطاق الأسرة دون توضيح السبب لهو سلوك سلبي والحالة الثالثة لدلالة على رفض الأب لاشتراك ابنه في الرحلة دون أسباب ومدى التأثير السلبي الذي حصل ليوسف جراء هذا النمط السلبي من الاتصال.

ثامناً:- الاستغلال العاطفي للأطفال للحصول على شيء معين

إذا لم تفعل هذا أو ذاك فسوف أتوقف عن حبك ! إن الحب العاطفي من قبل الأبوين تجاه أطفالهما لا يحتاج إلى شروط، فهذا يجعل الطفل يشعر بأن والديه يحبونه لقيامه بالعمل، وهذا من شأنه أن يؤثر سلباً على علاقة الأبوين بالطفل والتي هي واحدة من الأسباب الرئيسية لجنوح الأحداث في الأردن (Matalka,1994). وأظهرت لنا الحالة الأولى مدى التأثير السلبي الذي لحق بأحمد جراء إهمال الوالدين له بسبب فشلة في الامتحانات وكيف أهتما بالأخ المتفوق.وفي الحالة الثانية أيضاً وكيف لجأت والدة سعاد بتأنيبها واستغلالها عاطفياً لتكسب وزناً والنتيجة التي آلت إليها سعاد.

تاسعاً:- استخدام عبارات ختامية لا تسمح بعدم الموافقة

وهذا يهدف إلى الاتصال أو التفاعل الوحدوي ذي النهاية الختامية من طرف واحد. إن المناقشة بين الأبوين من جهة ومع الأطفال من جهة أخرى يجب أن تكون مبنية على احترام آراء بعضهم بعضا. فالمناقشة العائلية السائدة في مجتمعنا غالباً ما يطغى عليها طابع الرأي الواحد المنفصل والمسيطر على آراء الآخرين، فنجد أن النقاش دائماً ينتهي بعبارات ختامية لا تفسح المجال أمام الآخرين للمجادلة أو المناقشة. ولا حاجة لنا أن نستمر بهذه الطريقة!، وغيرها من العادات المشابهة "إن المناقشة التي تنتهي بهذه الصورة من شانها ان تسيطر وتوقف عملية المحادثة بين الأطراف المشتركة بها" (Grash 1978). وأثبتت الحالة الثالثة مدى تأثير استخدام العبارات الختامية على شخصية يوسف واليأس والإحباط الذي لحق به.

عاشرا: الاستخدام المتواصل لكلمة يجب في المناقشة

إن الاستخدام المتواصل لهذه الكلمة من قبل الوالدين للأطفال، من شأنه أن يؤثر سلباً على مفهومهم للذات ويجعلهم يعتقدون بأنهم ليسوا على درجة من الكفاءة التي يريدها الأبوان، وترى الأبوين يستخدمان هذه الكلمة بعبارات مثل: "أنت الآن كبرت" يجب عليك أن تتعلم هذا ! أنت أكبر حجماً من فلان "يجب" عليك أن تكون هكذا، وما شابه ذلك من العبارات، وقد تأكد لنا مدى التأثير السلبي لهذا النمط في الاتصال في الحالتين الثانية والثالثة، وان التأكيد المستمر على الأطفال بطرق سلبية اثر على نمو مفهوم الذات لديهم.

حادي عشر:- توجيه السؤال نفسه للطفل مرة تلو الأخرى لنفس الغرض

نجد في مجتمعنا أطفالاً اعتادوا على شيء أو نمط سلوكي معين، مثل أن يبقوا خارج البيت إلى ساعة متأخرة من الليل فنجد الأبوين يستخدمان نفس السؤال، ولو أنهما استبدلا الصيغة فهما يسألان: لماذا أنت متأخر؟ لماذا لم تحضر مبكراً؟ أين كنت في مثل هذه الساعة؟ وغيرها من الأسئلة التي من الممكن أن تجعل الطفل يشعر بأن والديه لا يكنان له الثقة خصوصاً عندما تكون سلوكياته ضمن الأنظمة المعمول بها اجتماعياً، وان يلجا إلى استخدام أسلوب الضبط التربوي مع أبنائهم، وذلك بإعطاء تفسيرات للقواعد التي ينبغي إتباعها داخل الأسرة. والحالة السادسة مثالاً حي على مدى تأثير تأكيد الأهل على سامر بالدراسة وبذل الجهد مرة تلو الأخرى وبدون مساعدته أو حتى معرفة الظروف التي يمر بها لدلالة على مدى تأثير الأسئلة المتكررة على نماء شخصية الأبناء.

ثاني عشر:- استخدام عبارات السخرية للضحك على الطفل

ان لجوء الوالدين للسخرية مع أبنائهم له تأثير سلبي على عملية الاتصال الفعال مع أبنائهم، حيث يلجأ إلى الضحك وإحباط طموح الأبناء من خلال هذا الأسلوب وكما هو واضح في الحالة الخامسة حيث استخدم الوالد الضحك والسخرية وما ترتب عليه من أثار سلبيه حيث شعر عماد بالخجل والضعف لأنه كان موضع نقد الأب ويحاول الانتحار بأخذ كمية من الدواء. والسؤال هنا: على من تقع المسؤولية التي أدت إلى هذه النتيجة؟ وتشير الدراسات أن بعض الاتجاهات الوالدية السلبية كالرفض والحماية الزائدة والضغط على الأبناء لتحقيق مستويات عليا من التحصيل "تكون أكثر ظهوراً لدى الآباء عنها لدى الأمهات" (القرشي، 1986).

ثالث عشر:- مقارنة الطفل بغيره بعبارات مؤثرة

من الأمور الشائعة في مجتمعنا هي لجوء الوالدين لمقارنة أطفالهما بغيرهم من الأطفال وخصوصاً الذين هم متفوقون أكثر منهم. كقولهما: ابن فلان حجمه قد نصف حجمك وها هو حصل على معدل أعلى منك !، أخوك مهذب ليش ما بتكون مثله ! شوف ابن الجيران لا يتوفر له

كما هو لك ولماذا أنت لست مثله! هذه عبارات من شانها أن تولد الحقد والكراهية والعدوانية والحسد بين الطفل والأشخاص المقارن بهم. فنجد عدة حالات على إيذاء الأطفال لبعضهم سببه المقارنة الجائرة وعدم تقبل طاقات وإمكانيات الطفل المحددة. والحالة الثانية تبين لنا مدى التأثير السلبي الذي لحق بسعاد جراء لجوء والدتها بمقارنتها بأبناء عمومتها.

وهناك طرق كثيرة مؤثرة لا يمكن حصرها والمهم هو أن يتم إرشاد الأبوين بين فترة وأخرى إلى طرق اتصال جديدة ذات فعالية أكبر ومناسبة لوضع الطفل، والتأكيد على إيصال الرسالة الأكثر فاعلية وهي أنه يجب على الأبوين تقبل أطفالهما كما هم. ويعتبر إيجاد مهارات وطرق اتصال جديدة واستبدال غير المؤثرة بالفعالة خطوة سليمة لتجنب الصراعات داخل الأسرة وما يصاحبها من تأثيرات سلبية على نفسية الأطفال. وبالتالي سلوكيات خارجة عن نطاق الأنظمة القانونية والاجتماعية والدينية والأخلاقية ومن خلال البحث والتجربة العلمية الحقيقية فقط نستطيع أن نمهد الطريق أمام ألأبوين ونعرفهما بطرق اتصال جديدة، وإن تطوير طرق الاتصال اللفظي وغير اللفظي بين الوالدين والأطفال لهما نتائج متشعبة منها:

1- تساعد على تهيئة مناخ مساعد والذي بدوره يفتح قنوات اتصال مريحة.

2- تساعدهم على التعبير عن مشاعرهم، وتمهد الطريق لحل المشاكل بطرق مؤثرة.

3- تساعد الأبوين والأطفال على إشباع حاجاتهم الفردية.

4- تساعد على بناء الثقة بين أفراد العائلة. وهذا بدوره يقوي العلاقات العائلية ويوحدها.

5- يساعد ألأبوين والأطفال على مساعدة بعضهم بعضاً في أوقات المحن.

6- إن الاحترام والمحافظة على الفردية بين الأبوين والأطفال تُبقي على العائلة متماسكة، وإن مفهوم الذات بينهم يقوى بسبب القبولية والتشجيع التي يتبادلونها بعقلانية.

7- ينمو الأفراد مع قبول أنفسهم على أنهم متحدون باختلاف شخصياتهم.

إن الاتصال الذي من أجله أن يشجع الطفل، يساعده على الشعور بأنه شخص مرغوب به داخل العائلة وتتضمن القبولية إشعار الطفل بأنه ذو قيمة عالية وأنه قادر على تحمل المسؤولية التي تتطور وتكبر مع نمو الطفل بمحاولة احتلال مكانه والقيام بمهام مختلفة بكل أمل. وكثيراً ما نجد أن الطفل يواجه صعوبات لم يتوقعها عند قيامه بمهمات جديدة وهنا تصبح الحاجة ماسة للوقوف إلى جانبه ومساعدته على تخطي العقبات. وهذا يجعله يدرك بأنه انطلق من قاعدة متينة وأن والديه دائماً يثمنان جهوده ويقبلانه على ما هو عليه بدل اللجوء إلى التوبيخ وبعد التأكد من هذا فأن الطفل سوف يشعر بشجاعة أكثر من ذي قبل، وسيواصل الجهد وسيشعر دائماً بوجوده داخل الأسرة لذلك يجب تثمين جهوده دائماً ولو أنه فشل حتى يتمكن من تكوين صورة صحيحة عن نفسه بأنه قادر على إنجاز المهمات الموكلة إليه.

وكما تبين لنا من الحالة السادسة وفشل الوالدين في احترام والسماع لرأي ابنهم ومدى التأثير السلبي الذي لحق به جراء هذا الأسلوب من الاتصال وعدم قدرتهم على تفهم المرحلة التي يمر بها سامر والنتائج الغير مرضية التي لحقت به لدلاله واضحة على مدى أهمية الاتصال الفعال ما بين الأهل والأبناء.

وبعد الاطلاع على بعض الحالات السابقة نستطيع إدراك مدى التأثير السلبي على الأطفال بسبب فشل الوالدين في التعبير عن مطالبهما بطريقة سليمة مع أبنائهما. إن القبولية تتضمن احترام الطفل وحاجاته وجهوده، ونجد (Kirpalani 1986) يقول: "يجب على الوالدين أن لا يطلبا من الأطفال أن يقوموا بعمل لرفع مكانتهم فقط، وإنما يجب أن يكون الهدف غير ذلك". وها هو (Sayles 1928) يقول: "إن من الطبيعي والحتمي أن يصاحب حب الوالدين للطفل، نجاحه في حياته، ومع هذا فإنه يوجد هناك صعاب مصاحبة إلى هذا الحب، فعندما يفشل الطفل في تحقيق رغبات والديه فإن هذا يؤثر على نفسيتهما إلى درجة كبيرة، ولكن الوالدين غالباً ما يفشلان بادراك مدى تأثير هذا الشعور على شجاعة وإنجاز الطفل في المستقبل" ومن هنا فإننا نقترح بعض المواقف والطرق التي يمكن للأبوين استخدامها لتشجيع أطفالهما وإشعارهم بأنهم مقبولون داخل العائلة:

1- أن يثقا بمقدرة الطفل، بقولهما "نحن نعلم بأنك تستطيع".
2- إشعار الطفل بأنه لا أحد يتمتع بالكمالية، وكل واحد معرّض للخطأ.
3- تثمين جهوده مهما صغرت حتى يستطيع أن يخطو للأمام.
4- مساعدته على تجريب مهارات مناسبة لعمره وقدراته حتى يتذوق النجاح.
5- مساعدة الطفل الذي لا يملك الثقة حتى يبدأ بالتجربة وليس التركيز على إنجاز العمل بالإنابة عنه.
6- توفير الفرصة لتجربة ناجحة حتى تنمو روح المثابرة لمواجهة المهمات الأكثر صعوبة.
7- قبول ذات الطفل واحترامه كشخص وأن يكونا حسّاسين لمطالبه الشخصية

التوصيات

من الجوانب المهمة في الاتصالات العائلية هو تعلم كيفية الاتصال بفاعلية بالطفل داخل العائلة وعكس ذلك فإنه إذا لم يتصل الأبوان بفاعلية بأطفالهما فإنهم بذلك سيجدون صعوبة بالغة في الاتصال بهم وبالتالي تعليمهم الأمور الحياتية التي يحتاجها الطفل وخصوصا في مراحله الأولى.ويمكن تلخيص الأمور التي تساعد الأبوين لتأسيس اتصالات جيدة مع أطفالهم فيما يلي:

1- بناء اتصال في عمر مبكر للطفل.

2- جد الوقت الكافي للحديث مع الطفل وأيضا أعطه وقت ليحدثك هو.

3- اسمع واهتم جيدا بما يقوله الطفل.

4- استمع إلى الرسائل المخبأة.

5- كُن أميناً ومنصفاً.

6- تجنب تحويل الحديث إلى انتقاد، وتشديد على ما يجب على الأطفال فعله.

7- لا تقهر أو تؤنب أو تنشغل في إيجاد الأخطاء.

8- كونا أبوين أولاً وليس أصدقاء.

9- يجب أن تكون الكلمات موازية للفعل.

10- ركز على التغذية الراجعة من طفلك.

11- اجعل الاتصال بمستوى الطفل.

12- تعلم كيف تستمع لطفلك.

13 - أبقي على الحديث مختصراً.

14- اسأل السؤال الصحيح لطفلك.

15- عبر عن شعورك ومعتقداتك عندما تتفاعل مع طفلك.

16- إعقد اجتماعات متواصلة مع أطفالك.

17- لا تتحرج من قول لا أدري عندما تكون لا تدري.

18- حاول أن تكمل الشرح للطفل.

كيف يستطيع المختصون والمهتمون بهذا المجال مساعدة الأبوين لتقبل أطفالهما ؟

ليس من الضروري أن نضع المسؤولية دائماً على عاتق الوالدين اللذين ينقصهما في بعض الحالات الصبر والحكمة والنظرة المستقبلية لأطفالهما، وعدم قبولهما بالواقع، ومحاولتهما للقفز إلى المستقبل بعصبية وغيرها. ومن هنا فإن جزءاً كبيراً يقع على عاتق المختصين في علم الاجتماع والنفس والقانون وغيرهم من المهتمين بمستقبل الأطفال والتقليل من معاناتهم، وبالتالي مساعدة الأسرة على التماسك وحسن الرؤية المستقبلية، ويمكن تلخيص بعض الاقتراحات التي يمكن أن يقدمها الدارسون للآباء لبناء مفهوم واقعي مبني على التجربة والبرهان بما يلي:

أولاً:

أ – اقبل الوالدين كما هما

بينما أن قبول الشخصية الذاتية مبني على المعرفة بأن الآخرين يقبلونها فإن قبول الوالدين كما هما من قبل المختصين يلعب دوراً إيجابياً على تقبل الوالدين لأنفسهما، ولذلك فإذا أردنا منهما أن يتقبلا أطفالهما على ما هم عليه، فيجب علينا تقبلهما بالحال التي هما عليها، سواء كانت قوية أم ضعيفة. وعندما يتم بناء علاقة وطيدة بينهما فإنهما يستطيعان إيصال خوفهما وجهودهما وسعادتهما وشعورهما إلينا، لأنه يوجد هناك ثقة وأمان كافيين بيننا وبينهم، وهذا يساعدنا على أن يتقبل الوالدين اقتراحاتنا بكل جدية وسرور التي ستنعكس ايجابياً على الأطفال.

ب- الوالدان الراضيان عن نفسيهما سوف يرضيان عن أطفالهما

أوضحت الدراسات بأن الرضا عن النفس له علاقة وطيدة بالرضا عن الآخرين ولذا فإن الخيال الذي يبنيه الوالدان عن نفسيهما سيؤثر على نوعية العلاقة بينهما وبين أطفالهما. إن الوالدين الراضيين عن نفسيهما غالباً ما يكونا حساسين لحاجاتهما الخاصة. وبالتالي حساسية كبيرة لحاجات أطفالهما. فنجدهما فخورين بأنفسهما ويتقبلان النجاح والخسارة بكل سرور، ولذلك فإن تقبلهما لأطفالهما بضعفهم أو قوتهم حتمي، ونجدهما أيضاً قادرين على بناء علاقات وطيدة مبنية على المحبة والتفاهم مع أطفالهما، وبعكس ذلك نجد توتر العلاقة بين الوالدين وأطفالهما، وفي النهاية فان السعادة ستكون من نصيب الأبوين اللذين رضيا بأنفسهما وبأطفالهم (Kirpalani, 1986).

ج- العلاقة بين الرضا عن النفس والكشف عنه

عندما يقبل الوالدان بعضهما وواقعهما فإنهما يستطيعان الكشف والتعبير عمّا في داخلهما بكل حرية وأمان، وعدم الخوف من الخوض في التفاصيل لأنهما يريان نفسيهما محبوبين ومقبولين لدى المجتمع، بعكس غيرهما من النوع الآخر الذين يشعرون بعدم الأمان والنظرة على الآخرين بعدم الثقة.

ثانياً: – كيف نستطيع أن نساعد الوالدين في الكشف عن نفسيهما؟

أ-الإصغاء لهما حتى نجعل الأبوين يشعران بأنهما مقبولين وأننا نفهمهما ونحترم موقفهما يجب علينا أن نصغي إلى أفكارهما والإحساس بشعورهما دون انتقاد أو حكم. ومن الضروري أن يعرف ويكتشف الأبوان خلال العلاج بأنهما يتمتعان بحرية تامة تكشف عما في داخلهما من غضب أو ملل أو عدم قدرة على التكيف مع الوضع السائد. ويمكن أن نشبه "الإصغاء" بعمل الطبيب عندما يحاول تنظيف الجرح، فإذا لم يتم إزالة الصديد والأوساخ فإن النتيجة

تؤدي إلى التهابات جديدة تعرقل نمو الأوعية التي تساعد على شفاء الجرح، وبالمثل فإن الإحساس الايجابي بين الوالدين والمعالجين سيكون له فرصة كبيرة على النمو والتطور إن كان هناك فرصة مشابهة لإزالة الإحساس السلبي الذي يشعران به، لذلك فإن الإصغاء لهما من شأنه أن يشعرهما بالأهمية واحترام الذات والآخرين.

ب- يجب إظهار القبولية مقدماً ومواصلة إظهارها عند مخاطبة الوالدين للكشف عن نفسيهما

حسب رأي (Johnson, 1972) يوجد هناك نوعان من القبولية يمكن أن نوصلهما إلى الشخص، الأول: تشجيعه على المخاطرة للكشف عن النفس، والثاني: بناء علاقات حميمة معه مقدماً قبل الشروع بالعلاج من خلال إعطائه الثقة والاحترام المتبادل.

ثالثاً – مساعدة الأبوين على تقبل التغير

إن التغير بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلد تحتاج إلى تغير نمط الحياة وطريقة عمل الوالدين. اليوم يحتاج الأبوان إلى عمل شاق لتوفير حياة سعيدة ومريحة لأطفالهما، وبالمقابل يحتاج الأطفال أن يقبلوا ويتكيفوا مع ظروف عمل الوالدين، وعلى الأم أن توفق بين عملها وأسرتها، كل هذه العوامل من شأنها أن تخلق جواً من التوتر داخل الأسرة، وهذا يحتاج إلى تعلم مهارات جديدة لمفهوم الأبوة.

إن كل جوانب الحياة تتضمن تغيراً وعلى المختصين والمهتمين أن يكونوا جاهزين لمساعدة وتشجيع الأبوين خلال الفترة التي يحاولان بها التكيف مع التغير، وإذا وقفنا إلى جانبهما عند الحاجة ستكون هناك فقط مسألة وقت قبل أن يتمكن الوالدان من تقبل التغير كجزء مهم في حياة البشرية وشرط للنمو الإنساني.

رابعاً – يجب مساعدة الأبوين على فهم طبيعة التغير لمفهوم الأبوة

بما أن الوقت يتغير فإن هذا يصاحبه بروز مفاهيم جديدة للأبوة المؤثرة التي لها قابلية للتعلم التي تحتاج إلى مجهود متواصل لمعرفة أمور جديدة عن فردية الأطفال وسلوكياتهم في مختلف مراحل النمو، وعلاوة على ذلك فإن الوالدين بحاجة إلى الاهتمام بحاجاتهما الخاصة، والاعتراف بأن الأبوة هي عمليات تتطور، ومع المواصلة للتعلم عن نفسيهما وعن أطفالهما فإن الثقة بأنفسهم كمتعلمين ومثقفين سوف تنمو، وبهذا يقول (Swick and Duff, 1979) "إن الوالدين المثقفين المتعلمين سيعملان على إبقاء بيئة مساعدة على التعلم والبناء داخل الأسرة، وبالتالي الاهتمام بالتعلم خارج محيط الأسرة".

خامساً – تشجيع الوالدين لقضاء وقت أكثر مع الأطفال

من الصعوبة أحياناً أن يجد الوالدان وخصوصاً الأب وقتاً لقضائه مع أطفاله بسبب انشغاله بأمور الحياة، وبالنتيجة نجد الأطفال يسعون وراء الحب والانتباه بلجوئهم إلى العالم الخارجي، وغالباً ما تكون النهاية هي وقوعهم في مأزق لا يمكن التخلص منه بسهولة، ولذا فإن السلوك الإنحرافي سيكون صبغة أو طريقة حياة بالنسبة لهم. إن قضاء بعض الوقت مع الأطفال من شأنه أن يشعر الطفل بالحب والاهتمام، وحسب رأي (Sayles, 1928): "إن من الحاجات الأخرى للطفل التي يمكن مقابلتها بقضاء الوقت معه ما يلي:

1 -الحاجة إلى صمام أمان.

2-الحاجة إلى مترجم للحياة.

3-الحاجة إلى مرشد."

إن باستطاعة الوالدين منح أطفالهما معنى للحياة خلال فترة اللعب والمرح التي يمر بها الطفل من خلال بناء شخصية قيادية، ومهارات فردية، ونظام حياة ذي قيمة شخصية، إلى جانب المتعة أثناء اللعب، وهناك جانب آخر لقضاء الوقت مع الأطفال وهي قراءة القصص المحببة لهم والتحدث إليهم بموضوعات مختلفة والعمل سوياً (Matalka, 1994).

سادساً – العلاج العائلي

وهذا يجب أن يركز على تعزيز وتطوير الاتصال والتفاعل بين أفراد العائلة الواحدة. فإذا تعلم الأفراد التعبير عن شعورهم الصادق والصريح لبعضهم، فإن عدم التفاهم والغضب والنظرة ستزول، فمهمة المعالج هنا تتركز على جعل الأسرة تدرك بأنها تنمو كوحدة واحدة لا يفرقها فارق – وبهذا فإن أفراد الأسرة سيكونون حساسين خلال فترة العلاج إلى احتياجات بعضهم البعض، وبالتالي الصراحة والكشف عما يدور في الخاطر سيكون أسهل.

سابعاً – مساعدة الوالدين لتطوير قوة داخلية لمواجهة الواقع

إن هذا ضروري عندما يجبر الوالدين على مواجهة فقدان شخص محبب مثل موت مفاجئ لأحد أفارد العائلة أو ولادة طفل معاق حركياً أو عقليا أو عندما يجبران على العيش مع الألم الناتج عن مشاهدة أطفالهما الذين اختاروا طريق خاطئة أثرت على سلوكهم ومستقبلهم.

ثامناً – مساعدة الأبوين على خلق جو ملائم للعائلة

إن الجو الصحي ينوجد داخل الأسرة عندما يكون هناك اتصال وتفاعل صريح بين الأفراد، وعندما يهتم الواحد بحاجات الآخر والإصلاحات تقابل بجو مليء بالحب والحنان. والأهم من ذلك الإيمان الأساسي بطبيعة الإنسان السمحة بغض النظر عن المصائب والمشاكل التي تعترض

العلاقات الاجتماعية. وحسب رأي (Elizabeth, 1976) إن الجو غير الملائم للعائلة يأتي من الخلاف داخل الأسرة وتفضيل فرد على الآخر، وعدم الاكتفاء بالدور الذي يجب أن يلعبه الفرد، والصراع بين الأفراد ذوي المنافع المختلفة والسيطرة من قبل الوالدين وعدم توفر الإحساس العاطفي في العلاقات بين أفراد العائلة.

الخاتمـــة

ان الاتصالات الصريحة والمؤثرة تحتاج ممارسة وجـهدا كبيرا، وعـلى الوالديـن ان يتذكروا بأنهم لن يصلوا إلى مرحلة الكمال، وأنهم يخطئون، والمهم ان يبدأ الـوالدين بإتباع أنماط الاتصال التربوية والأكثر فاعلية وتأثيرا على نماء شخصية الأبناء في عمر مبكر، وان النتيجة ستكون علاقة قوية وايجابية ما بينهم.

من خلال الدراسة، قد تبين ان المسؤولية الكبرى للنقص الحاصل في الاتصالات ما بين الوالدين وأبنائهم تقع على عاتق الوالدين. لذلك ينصح الوالدان، بان يتصلوا مع أبنائهم والتحدث إليهم وفهمهم واحترامهم، ومـن المفترض ان يعترف الوالدان بفردية أبنائهم بـدلا من فرض أرائهم عليهم. بهذه الطريقة يستطيع الوالدان الاتصال والمشاركة الفاعلة مع أبنائهم.

إن القوة الداخلية الحقيقية يمكن أن تتحقق في الوقت الذي يكون فيه شخص عزيز يشجع ويساعد، وبالقوة الروحية والإيمان والقبول بالقدر والواقع بكل حكمة وجرأة.

Family Communicational Style with Children and it's Reflection on Children's Personality Development

Faisal Matalka, *Aqaba University College, Al-Balqa Applied University, Aqaba, Jordan.*

Abstract

Inadequate parent-child communication is a problem that many families face, especially those with teenagers.

On one hand, children complain that they are depressed and lonely because no one shares their difficulties and pressures. In spite of their comfortable material life, they are miserable internally. They accuse their parents of not understanding them, of not offering emotional support.

On the other hand, parents are hurt by their children's accusation, because they have been doing so much for them. They also feel wrong because they think that they are

always ready to communicate with their children who are not interested in talking to them. It pains many parents to find that their children are indifferent to them.

Obviously, both parents and children suffer from this problem, who is to blame? In my opinion, the responsibility mainly lies with the parents.

Therefore this paper make an effort to understand and specify the different communication patterns which can be used by parents to make children feel loved and accepted. The author has placed emphasis on both the verbal and non-verbal aspect of communication. How accepting a parent is of his child and vice-versa, can be seen in the communication styles that they use with each other. This is discussed with the help of true case examples from our society. Some ways by which people in the helping profession (Counselors, child and family guidance workers social worker and others). Can influence and motivate parents to accept their children are also briefly discussed.

قدم البحث للنشر في 2007/11/6 وقبل في 2008/1/29

المصادر والمراجع العربية

ابو جادو، صالح محمد، (2006م)، **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية**، الطبعة الخامسة، عمان، دارا لمسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

ابو عرقوب، إبراهيم، (1993م)، **الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي**، الطبعة الأولى،عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

إسماعيل، محمد عماد الدين، (1974م)، **كيف نربي أطفالنا**، القاهرة، دار النهضة العربية.

تركي، مصطفى احمد، (1980م)، **الرعاية الوالدية وعلاقتها بشخصية الأبناء**، القاهرة، دار النهضة العربية.

تركي، مصطفى احمد، (1980م)، **العلاقة بين رعاية الوالدين للأبناء في الأسرة وبين بعض سمات شخصية الأبناء**، الكويت، مؤسسة القباج.

الجوهري، عبد الهادي، (1982م)، **معجم علم الاجتماع**، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ص 182.

حسن، محمد علي، (1970م)، **علاقة الوالدين بالطفل وأثرها في جنوح الأحداث**، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.

خفاجي، زكي محمد، (1983م)، **مجلة تكنولوجيا التعليم**، العدد (14).

دروزة، فرح، (2006م)، **الحوار والصحة النفسية**، المركز الفلسطيني للإرشاد، نابلس.

الدمرداش، إحسان، (1984م)، **الديمقراطية، وأنماط التنشئة الاجتماعية**، محاضر مؤتمر رابطة التربية الحديثة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام القاهرة.

روبنز، هارفي، (1999م)، **كيف تتحدث وتستمع بفاعلية**، الجمعية الأمريكية للإدارة، مكتبة جرير.

الريماوي، محمد عودة، (1993م)، **في علم نفس الطفل**، الطبعة الأولى، عمان، دار زهران للنشر والتوزيع.

العاني، عبد اللطيف عبد الحميد؛ عوني، مليحة؛ وخليل معن، (1990م)، **المدخل إلى علم الاجتماع**، جامعة بغداد.

عبد المؤمن، محمد، (1986م)، **مشكلات الطفل النفسية**، القاهرة، دار الفكر العربي.

علاقي، مدني، (1405هـ)، **الإدارة دراسة تحليلية للوظائف والمقررات الإدارية**، الطبعة الثالثة، تهامة، جدة.

العويدي، حامد، (1993م)، **اثر الجنس ونمط التنشئة الأسرية على التحصيل والاتجاهات نحو المدرسة عند عينة أردنية من طلبة الصف العاشر**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.

القرشي، عبد الفتاح، (1986م)، اتجاهات الآباء والأمهات الكويتيين في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات، **حوليات كلية الآداب**، الحولية، الكويت.

القعيد، إبراهيم حمد، (1433هـ)، **العادات العشر للشخصية الناجحة**، دار المعرفة للتنمية البشرية، الرياض.

مصالحة، شفيق، (2003م)، **دليل الصحة النفسية**، عن دروزة (2006م)، "الحوار والصحة النفسية"، المركز الفلسطيني للإرشاد، نابلس.

ياغي، محمد عبد الفتاح، (1403هـ)، **مبادئ الإدارة العامة**، الطبعة الأولى.

المصادر والمراجع الإنجليزية

Fletcher, A. C. & Shaw, R. A. (2000), Sex differences in associations between parental behaviors and characteristics and a adolescent integration. *Social Development*, 9 (2). 133-148.

Frank E. X. Dance & Carle E. Larson, (1972), speech communication concepts and Behavior, New York: *Holt, Rinehart and Winston, INC*, p. 10.

Grash, A. F. (1978), *Practical Application of Psychology*, Cambridge, Mass, Winthrop Publishers, Inc.

Harms, L. S. (1974), Human communication: The New Fundamentals, N.Y: *Harper and Row publisher*, p.4.

Hawkes, G.R & Pease, D. (1982), *Behavior and development from 5 to 12*, New York, Harper International Edition.

Hurlock Elizabeth. B. (n. d), *Personality Development*, New Delhi, Tata McGraw Hill.

Johnson, David W. (1972), *Reaching out، Interpersonal Effectiveness and Self actualization*, Englewood Cliffs, New Jersey, Prentice Hall.

Kirpalani, Maya B. (1986), *Accept Your Child As He Is*, the evening news of India، Jan, 21.

Kirpalani, Maya B. (1986), *Indifference to Failure*, The Evening news of India, Feb, 4.

Kristen Zolten, Nicholas long, (1997), *Parent / child communication*, Center for Effective Parenting، Little Rock Center، NW Arkansas Center.

Kurz, D. (2002), caring for teenage children, *Journal of family issues*, 23, (6), 740-776.

Larry A. Samovar; Richard E. Porter & Nemi C. Jain, (1981), *Understanding international communication*, (Belmont: Wadsworth publishing company), P. 159.

Matalka, Faisal, (1994), *A Sociological Study of male juvenile delinquency in Jordan*, Unpublished PhD Thesis, Rajasthan University Jaipur- India.

Matalka, Faisal, (1994), *Of Discipline and Delinquency*, April, 4, Lokmate Times, Nagpur, India.

Matalka, Faisal, (1994), *Parental Relationship and Juvenile Delinquency*, May, 22, Focus, Nagpur Times, Nagpur, India.

Miller, Moureen, (1978), *Help Your Child for Life*, Niles, IIIinoise, Angus.

Nimo, D. (1978), *Political communication and public opinion in America*, California: Goodyear publishing company.

Purser, Harry, (1982), *Psychology for Speech Therapists*, London, British Psychological Society and Macmillan Press.

Radke, M. J. (1946), *The Relation of Parental Authority to children Behaviors and Attitudes*, Minnesota, University of Minnesota.

Resnic, M. D; Bearman, P. S; Blum, R. W. et al. (1997), Protection adolescents from harem: Findings from the national longitudinal study on adolescent health, *JAMA*, 27 (10), 823 – 832.

Roffman, D. M. (2002), Parenting is a five – piece suit, *Transitions*, 15 (1), 5, Washington Dc: Advocates for youth.

Sayles, M. B. (1928), *The Problem Child at Home, A study of Parent- Child Relationships*, New York, Common Wealth Fund of Division Publication.

Swick, K. J & Duff, E. R. (1979), *Parenting*, Washington D. C. National Education Association of the United State.

Walsh, F. (2002), A family resilience Framework: Innovative practice applications, Family Relations: *Interdisciplinary journal of Applied Family studies*, 51, (2), 130 – 137.